كلمة البروفسور سليم دكّاش اليسوعيّ، رئيس جامعة القدّيس يوسف في بيروت، في مركز الدروس الجامعيّة في لبنان الجنوبيّ – صيدا (CEULS)، يوم السبت الواقع فيه ٢٣ أيلول (سبتمبر) ٢٠١٧، في إحياء ذكرى مرور ٣٠ عامًا على استشهاد الأب أندريه ماس André Masse اليسوعيّ.

نلتقي اليوم ونحن نحتفل بالعيد الأربعين لتأسيس مركز الجامعة في صيدا لنتذكّر شخصًا مرّ بسرعة بيننا ووهب حياته للجنوب ولمدينة صيدا التي أحبّها حين قَبِل أن يصبح مدير مركز الدروس الجامعيّة في لبنان الجنوبيّ – صيدا (CEULS) للجامعة اليسوعيّة وكان المركز الجامعيّ الوحيد الذي يقدّم خدمة أكاديميّة لمدينة صيدا والجنوب. في أيلول / سبتمبر ١٩٨٧، وهب حياته إلى الأبد لهذه الأرض التي أحبّ. اليوم، اللّفتة التي تقوم بها مدينة "البرامية" بإطلاق اسم الأب ماس Masse على الشارع الذي يمتدّ على طول مبنى الجامعة، تشهد على حياته التي بذلها من أجل هذه المدينة وتخبرنا أنّ حياته لم تذهب سُدىً. فمن صميم القلب تشكر جامعة القدّيس يوسف رئيس البلديّة ومجلس البلديّة، كما تشكر الجامعة حضوركم المميّز لهذا الاحتفال. نحن نريد أن نرى في هذه اللّفتة دعوة أن تواصل جامعة القدّيس يوسف رسالتها هنا بالذات كشهادة على العيش المشترك والإيمان بقيمنا اللبنانيّة.

أذكر أنّني التقيتُ به في باريس، في دير الرهبنة اليسوعيّة القائم في شارع "أساس" 14 bis Assas حيث كان لا يزال يتولّى، ولفترة قصيرة، إدارة المجلّة المئويّة المشهورة *Études* التي لا تزال الرهبنة اليسوعيّة تنشرها في فرنسا. كنتُ أتابع دراستي في اللاهوت والفلسفة في مركز "سيفر" Sèvres. وكنتُ قد التقيتُ به في الاجتماعات، خاصّةً في "فانف" Vanves حيث كان المقرّ اليسوعيّ لمجلّة *Action populaire* ينشر مجلّتين هما مجلّة *Actualités religieuses*، وكنتُ عضوًا في فريق تحريرها، ومجلّة *Projet* الناطقة باسم الرؤية الإجتماعيّة لكنيسة فرنسا. كنتُ أعلم أنّه كان يذهب إلى لبنان وتناقشنا أحيانًا حول هذا الأمر ثمّ دعاني للمجيء إلى مقرّ الرهبنة حيث يعيش ليتسنّى لنا الوقت للتحدّث حول الأمر. كان ذلك في العام ١٩٨٤ قبل أن يلبّي الدعوة للقيام بمهمّة جديدة تتمثّل في أن يكون عضوًا في المجتمع الأكاديميّ لجامعة القدّيس يوسف في بيروت. كان قد طلب منّي الحضور قبل وجبة العشاء للتحدّث عن لبنان وعن جامعة القدّيس يوسف وصيدا حيث كان يمكنه أن يتابع سنوات عمله كمدير لمركز الدروس الحامعيّة في جامعة القدّيس يوسف.

أستطيع أن أقول اليوم إنّ اللّقاء كان مذهلا جدًّا بالنسبة إليّ، وإذا قدّمتُ معلومات إلى الأب أندريه ماس في ذلك اليوم، أستطيع أن أقول إنّني اكتسبتُ أيضًا معلومات منه ومن شخصيّته. لم تكن الأمور التي تتعلّق بالسياسة أو بالبرامج الأكاديميّة أو بتاريخ جامعة القدّيس يوسف هي التي كانت تشغله كثيرًا، ولكن أستطيع أن أقول إنّني اطّلعتُ على جانبين أو ثلاثة جوانب احتفظتُ بها بقوّة إلى الأبد من جرّاء هذا اللّقاء ومن شخصيّته.

في البداية، كان قلقًا بشأن المغادرة إلى هنا وكان ذلك طبيعيًّا لأنّ الوجهة التي يقصدها لم تكن هادئة وكان يعلم أنّها منطقة خطرة. كان يشعر بالقلق من عدم تمكّنه من أن يتواصل بحريّة مع سكّان البلد بلغتهم العربيّة، على الرغم من أنّه كان قد بدأ يتعاطاها واكتسب من

أسسها ما يخوّله التعامل معها. وكان ينتابه القلق على أنّه قد يجد نفسه في برجٍ عاجيّ أكاديميّ يمكن أن ينأى به عن الناس. عندما تطرّقنا إلى السياسة خلال حديثنا أذكر جيّدًا أنّه طرح عليّ سؤالاً حول فرص المصالحة في لبنان وكيف يمكن لرهبنة أن تساعد في إنجاز هذه المهمّة بين اللبنانيين. هاجس المصالحة هذا نجده بعد ١٠ سنوات من استشهاده في "الإرشاد الرسوليّ" رجاء جديد للبنان" لقداسة البابا يوحنّا بولس الثاني الذي صدر في العام ١٩٩٧، وكان أحد الآباء اليسوعيّين، الأب جان دوكروبيه Jean Ducruet، قد ساعد في صياغته.

الجانب الثاني الذي كنتُ قد لاحظته عند أندريه ماس كان نوع الأسئلة التي طرحها عليّ في ذلك اليوم. لم تكن السياسة هي التي تستحوذ على اهتمامه فقط ولكن الجانب الإنسانيّ للحياة في لبنان. لم يتردّد على أن يطرح عليّ الأسئلة حول الفلسطينيّين الذين يعيشون في المخيّمات أو حول الطبقة الإجتماعيّة التي ينتمي إليها الطلاب الذين يرتادون الجامعة ومدرسة سيّدة الجمهور... لم يكن يُثير اهتمامه ما نقوم به من عمل بل إلى من ومع من كانت مهمّة الرهبنة تُنجَز.

وإن كان هناك جانبٌ ثالث ما زلتُ أحتفظ به بقوّة من شخصيّته خلال لقاء ذلك المساء فهو جانب التصميم الذي كان يتمتّع به. في الواقع، كان رحيله إلى الشرق الأوسط قد تقرّر بالفعل. وأعتقد أنّه كان بإمكانه البقاء في باريس أو في فرنسا في خدمة رسالة الرهبنة في هذا البلد، ولكن كان أندريه ماس ينتمي إلى هذا الجيل من اليسوعيين الحاضر بقوّة حتّى اليوم، والذي يرى في رسالة اقتفاء خطى يسوع المسيح دعوة لتجاوز الحدود من أجل بذل الذات حتّى النهاية، من دون حساب ومن دون النظر إلى الوراء.

وهب أندريه ماس حياته لكي تستمرّ أرضنا في الشهادة لمحبّة الله والقريب. بذل حياته حتى تستمرّ رسالة جامعة القدّيس يوسف في الازدهار وحمل الثمار في هذه الأرض من جنوب لبنان وهي الأرض نفسها التي تضرّجت بدماء العديد من الشهداء في قتالهم من أجل الحريّة والكرامة.